روبير كمب .. قلم من اغصان الجنة

بقلم سليم باسيلا

هــذا « كاتب ، قلمه مــن اغصان الجنة . وانقطاعه عن الكتابة من انقطاع الغيث » .

روبير كمب الناقد الفرنسي الكبير الذي مات منذ مـا يربو على الثلاثين يوما ، والذي تفتقد بعده الصحافة الادبية الفرنسية ، بل الصحافة الادبية الاوروبية ، بـل الصحافة الادبية العالمية واحدا كبيرا جدا من كبرائها ، لم يكن ناقدا فقط . لم يكن ناقدا ادبيا فقط فى مجلة الانباء الادبية التي ظل فيها زهاء عشر سنين واكثر يمد قراءها برأي فيه من تدقيق المدقق ، وحصافة الحصيف ، واطلاع المطلع البعيد مرامي النظر ، كل ذلك فى سلسلة وانسياب مريح ، وعذوبة تكاد تشرب بالعينين .

ولم يكن فقط الناقد المسرحي فى صحيفة « لموند » التي مكث فيها ما يتجاوز العشر سنين ايضا يكتب ما يظل مثالا يضرب عليه فى طرافات الراي ، ورجاحة الحكم ، الى اعتدال آنا ، وهوس محبب آنا اخر ، كـل ذلك الى ذوق مرقق ، وحس دقيق ، ولطائف تكاد تكون الى الشعر اقرب .

ولم يكن فقط الناقد الموسيقي الذي اذا كتب فى الموسيقى ، كتب وكأنه ينقل الخطو فى واحدة من خمائله ، او كأنه يكتب فى مخبآت نفسه واسرارها الكثيرة .

كان روبير كمب ، قبل هذا ، وذاك وذلك ، الانسان ، الانسان الكبير ، الذي يتحرك لكل قضايا الانسان ، ومعضلاته ، معضلاته الكثيرة ، انى اثيرت ، واين اثيرت .

وكان انسانا فى حفاظه على الود ، وثباته عـلى العهد ، ووثوق ذمته ، وتجافيه عن الزور ، وصحبته لرصفائه ، بالمطايبة ، ومبالغته للادباء الشباب بالنصح ، وتصونه عن الكسب الشائن والوسيلة الخافضة ، واصطناعه الجميل ، واسراعه فى تفهم المؤاخذة ، انسانا ، باجمع ما فى هــذه الكلمة من معاني الحرمات .

وكان روبير كمب ، ناقدا ادبيا كبيرا . كان يرتاح الـى الكلام على الشعراء ، والفلاسفة ، وذلك لانهم يتيحون له ، وهو آخذ فى الكلام عليهم ، ان ينعطف ، ويلين ، ويصفو ، ويتغنى ، حتى لكأن للكلمات بين يديه جرسا ودقدقة .

الا ان انصرافه الى الكبار مــن الشعراء ، والفلاسفة ، وايثاره الكلام على الن ، وكلوديل ، وسواهما من الكبار الذين قال فيهم كمب ، ما يبقى مثالا فى التامل الهادي ، وبعد الغور ، وعمق القرار ، لم يحل دون ايلائه الادبـاء الناشئين حظا من اهتمامه باثارهم .

فلقد كتب فيهم ، ولقد كتب فيهم وقسا حينا . وكتب وانعطف حينا اخر . وهكذا بين قساوة ، وانعطاف حمل نفرا من الادباء الشباب علـى معاودة النظر فى مواهبهم ، وحمل نفرا اخر على متابعة الكتابة فى ما كانوا قد باشروه وكانت لهم فيه بداءات موفقة .

ولعل روبير كمب ، فى ما كتب فى الادباء الشباب ، ومـا شغلته قضاياهم اقرب الناس ، فيما ارى ، الى تيوفيل جوتيه ، الذي كتب النقد المسرحي ، ما يبقى منه ثقافـة جوتيه ، وقلبه ، ولمحات مدفقة مموجة ، وتلك النغمات المحببة المتراوحة بين وضوح مريء وغموض امرأ .

وكتب روبير كمب فى النقد المسرحي دراسات هي اعمق ما تكون الدراسات فى فن من الفنون الادبية ليس اسهل من ان يضطرب فيه حكم الناقد وتعثره بالراي .

وكان روبير كمب فى مدى السنوات الخمسة عشر التي تولى فيها اعباء النقد المسرحي ، فى « لموند » اقرب النقدة الفرنسيين الى النشاط المسرحي ، ثم انه كان اجراهم فى الكلام على قلة من المسرحيين الفرنسيين الذين تصدوا للمسرح وهم ابعد ما يكونون استعدادا للخوض فيه .

ولم يمسك روبير كمب عن الطعن على هؤلاء . وعـلى التشهير بهم . وعلى الكشف عن حقائقهم الا انـه وبازاء ذلك ، وبازاء ما سرح اصابعه فى اثار هؤلاء ، واثخن فيهم ، بقي الناقد الذي يعرف كيف يطرب للاثر الجميل ، وكيف يهتز ، ساعة يخلق به ان يطرب ، ويطيب له ان يهتز .

وكان بالاضافة الى ذلك ، على ما قاله فيه كبريـال مرسيل ، الناقد المسرحي الكبير فى مجلة الانباء الادبيـة الفرنسية ، يحس احساسا عميقا ، وهو يكتب اثار الناس الادبية ، ان لا عصمة فى ما يذهب اليه من راي ، وانه كسواه من النقاد قد يخطيء ، وقد يصيب ، وقد ينحرف بـه الراي ، وقد يقف على ساق ، وان له من نبالة الهـدف ، وصدق الغاية شفاعة .

ولعل ابرز ما يجدر الكلام عليه فى صدد النقد المسرحي الذي عاناه روبير كمب معاناة اخذ فيها عليه تشدده على المسرحيين الفرنسيين ، انه كان يتشدد عليهم وذلـك بالقياس للمسرح اليوناني الذي عاش روبير كمب على قراءته زمنا طويلا ، والذي آمن ، وما برح يؤمن حتى النزع الاخير انه المسرح الامثل ، وان ما يخرج عن الخطوط الكلاسيكية المسرحية الكبرى يخرج فى آن معا عن جدارته للتقديـر وقابليته للبقاء .

كان روبير كمب كلاسيكيا يونانيا فى نظرته الى المسرح . ولقد كان اكثر كلاسيكية من المسرحيين اليونان انفسهم فى بعض ما كتبه على جورج شحاده لمناسبة مسرحيته الاخيرة ، اذ امعن فى التقليل من قيمة صاحب « سهرة الامثال » وهو من قالت فيه اقلام اوروبية كبرى ما لم يقل فى رهط من كبار المسرحيين الفرنسيين .

الا ان كلاسيكية كمب لم تحل دون ان يبقى متصـلا بالجديد فى اشياء الادب ، والفن ، كما ان كلاسيكيته تلك لم تحل دون ان يعب من جدائد الفكر على كل صعيد . ولقد

كان اتصاله بالجديد هذا ، بل رغبته الدائمة المصرة على الاتصال بكل جديد والافادة منه ، وتكييف رايه على ضوئه، بين الاسباب التي مهدت لراي جديد له فى ادباء كان قد سبق له وانزل عليهم ، غضبه ونقمته ، وفى جملتهم جورج شحاده .

ولعل ما قالته الفيغارو الادبية فى هذا الصدد ما يشرح كلاسيكية روبير كمب ، واصراره من جهة على هذه الكلاسيكية ، وقابليته من جهةاخرى وفى آن معا على الاخذ باسباب كل جديد .

« كان روبير كمب ، تقول الفيغارو الادبية ، يعرف ان الفن لا يتقدم الا اذا كان فى شبه حركة دائمة بين الاتصال بالقديم والانقطاع عنه . ففي الاتصال ما يغني . وكذلك فى الانقطاع . ولذا رايناه يعيد النظر بكثير مما قاله . بجورج شحاده ، وبكت ، وسواهما من الادباء ، ولذا ، سمعناه ايضا ، يقول فى اكثر من مناسبة واحدة ، انه من حقه، وحق الناس عليه، ان يتثقف اعمق فأعمق، واوسع فاوسع ، وان يترف منه الذهن . »

وكتب روبير كمب فى النقد الموسيقي . ولعل النقد الموسيقي كان وما زال حتى ساعاته الاخيرة احب الاعمال الفنية اليه والصقها بمزاجه وادعاها الى تحريك نفسه .

فله فى مجلة « لا ليبرتيه » فصول فى النقد الموسيقي ممتعة . وله فى عدد من اعلام الموسيقى فى زمانه ، وفى عدد من اثارهم ما يرجع اليه ويعتد به ، وما يبقىمدرسة لفريق من النقدة الموسيقيين بعده .

وبعد .

هذه الفصول الكثيرة فى النقد الادبي ، والنقد المسرحي ، والنقد الموسيقي ، ماذا يبقى منها ؟ ماذا يبقى مما قالهروبير كمب فى برنانوس ، ومورياك ، وموروا ، وسيمنون ، وكسل وسواهم ممن اجرى فيهم قلمه ، خصبا ، كريما .

ماذا يبقى من كل هذا وذاك وذلك .

يبقى ، فيما نرى ثقافة روبير كمب التي لم يعرف الناس ثقافات اخرى تدانيها شمولا ، واتساعا ، وبعدا فى الاعماق .

ويبقى منه عناده فى مخاصمة القبح ، ومجالدته الاعتياد، الاخذ وصفاء فى اسطاء ، ثم على سهولة سائغة فى الاقبال على الاثار الفكرية ، والكتابة فيها كتابة اقرب ما تكون الى سلسلة الماء من الينابيع .

ويبقى منه عناده فى مخاصمة القبح ، ومجادلته الاعتياد، ثم انتصاره للجميل ، بل عناده فى الانتصار لهذا الجميل .

يبقى منه ما علم جيلا كاملا من النقدة ، وما اضاء اذهانهم ، وسدد اقلامهم ، وما خلععليهم مننسق فىالقراءة ونسق فى الكتابة احله فى مقدمة اصحاب الراي الادبي فى العالم .

يبقى منه ، اننا سنقراه ، كما قراناه زمنا طويلا ، واننا سنغرف منه كما غرفنا منه ، وسنعب كما عببنا ، ما بقي بيننا والحروف وصل يوقظه ويزكيه ادب لم يعرف الرتابة والاملال .

يبقى منه ان الناس ، اذ يقراون ، واذ يميلون لهذا من الادباء ، ويزورون عن ذاك ، واذ يعجبهم من المسرحيين هذا ويغضبهم ذاك، يبقى ان الناس يحرقهم ان يعرفوا راي الذي لو بقي بينهم ، لاطربهم وامتعهم ، وصب على قلوبهم من ذوقه المرق، وذهنه الطريء الشيء الكثير . . الكثير . .

سليم باسيلا

لم نفترق ؟

لِمَ نفترقْ . .
أوَمَا تظن سنحترق
واصرَ . . لو لم نفترق
من بعدنا . .
لا بلبل غريد
لا ورقاء
لا زهر عبق
لِمَ نفترق .؟!

من قبل . . كنا نحترق
ونهيم فى الحلم الالق
ونلم اشتات الطيوف
العابرات مع الشفق
ونحس احساس الورود
الرافلات على الافق
وكمثل اشياء الربيع
الراقصات مع الورق
يستاف ثغرانا الطيوب
فيسكر القلب الارق
لا وهم يقلقنا
ونحن بالغمرات ،
فى حلم عبق . .
نحيا غراما رائعا
لايعرف الالم النزق . .
لِمَ نفترق ؟

لِمَ نفترق . .؟
أوما تحس بخيبة
تجتز قلبا قد خفق
أو ما تظن بانني
سأموت من فرط القلق
فيما اذا غبت الحياة ،
ولم تعد تهوى الشفق

لِمَ نفترق ؟..
اني احس بانني
لا شيء
لا اغواء
لا حب الق
لِمَ نفترق .؟!

دمشق — اسماعيل عامود

نزعة التحرر في شعر المهجر

بقلم محمد خير الحلواني

ليسانسيه فى الادب العربي

كانت لبنان فى القرن التاسع عشر، بلادا تقاسي من الفقر والحرمان ، والنزاع الاقليمي، ما لا يستطيع مؤرخ ان يلم به كل الالمام ، ويحيط به كل الاحاطة ، بل ان الباحث فى تلك الحقبة ، ليعجز ان يصف شعور الناس هنـــاك وما يساورهم من قلق دائم ، وما يخامرهم مـــن اضطراب فاش ، ان لم يعجز عن وصف الحوادث الظاهرة التي كانت يثيرها الغرب ليملك البلاد بعد ان تضعفها الفتن ، وينهكها الفقر المدقع .

ولكن اكل الناس كانوا يشعرون بهـذا الضيق ؟ ام ان هناك فئة خاصة هي التي تحمل وحدها هذا العبء، وهي وحدها تستشعر هذا الظلم الاجتماعي ، من فقر لا يريم ، وبؤس لا يقلع ، ونزاع لا ينتهي ولا يخمد ؟

الواقع ان الناس فى لبنان كانوا كغيرهم من شعوب العالم، لا يحس بالظلم منهم الا فئة قليلة ، ويبقى الجمع الغفير سادرا فى طريقه ، يساق الى الموت البطيء دون ان يعلم مؤدى هذه السبيل ، ونهاية هذا الشوط .

هذه الفئة النادرة التي سنتحدث عن شعرائها فى هذا البحث ، ولعلها تسجل لنفسها بدء الثورة بتلك الهجـرة الى « اميركا » المرعة ، حاملة معها بذورا كثيرة مما علق فى نفسها من الانتفاضة والاندفاع والتمرد على العادات والتقاليد.

فاذا هي تحملت الصعوبات فى بلاد الغربة ، وقاست مرارة الفراق والحنين، وتعرضت لانواع شتى من البؤس والشقاوة فلانها لا ترضى الحياة فى ظل مجتمع غير هنيء ، يدفع الى الشقاء ، ويصد عن حياة السعادة فى عهد حكومة جائرة محلية ، تحكمها اهواء المستعمرين من وراء البحار، كما تحكمها الدولة العجوز من وراء الاناضول . فافضل الثورات اذن هي الهجرة الى حيث يصاب الهناء ، وتواجه السعادة ، ويستبدل بالفقر غنى ، وبالبؤس نعيما :

سأترك ارض الجدود نفيهـــا	حيـــاة الجبان ومـــوت الجري
تقيـــد اقـــلام احرارهـــا	وتطلق ايـدي ذوي اليســـر
سأضرب فى الارض لا خـــائفا	من البر او لجج الابحـــر
وانـــزل فى بلـــد دونــــــه	سمو المجـرة والمشتـري
يـــدب الهنـــاء علـــى تربه	ويجـري الرخاء مـع الانهر (1)

وتتم الهجرة ، وتنشأ ثمة رابطة من الادباء السوريين تنظم الشعر ، وتنشىء المقالات ، وتؤلف الكتب ، ولـــكن ادبها الذي تنتج ، يتسم بطابع الثورة ، ويتشح بثوب التمرد فيثور على التقليد الذي تضيـع فيه شخصيـة الشاعر ، ويجعل الشعر زخرفـة ووشيا ، لا نبضة وجـدان ، ولا اهتزاز شعور .

وتوجه هذه الثورة من شعراء « الرابطة القلمية » فى الشمال كما توجه من بعض شعراء «العصبة الاندلسية » فى الجنوب، ولعل امرارها واضطرامها يتجسمان فى جبران وميخائيل نعيمة اكثر مما يمثلها سائر شعراء المهجر .

ولكن ما هي معالم الثورة او التجديد فى هذا المجال ؟

لا يستطيع احد ان يدعي ان ذلك كان فى تبديل الاوزان او تغيير القوافي ، لان هذا الضرب من التجديد لمسناه قديما عند ابي العتاهية وغيره من شعراء الحضارة فى بغداد ،كأبي نواس ، كما عرفناه عند اصحاب الموشحات فى الاندلس ، ولكن الثورة انما تتجلى فى شيئين عند شعرائنا فى المهجر الامريكي : اولهما هو هذه الثورة على اللغة الشعرية التي فتن بها شعراء القرن الماضي وعصور الانحطاط ، بما فيها من جناس وطباق واستعارات وكنايات وترصيع وترشيح وموازبة وتورية ، وثانيهمـا على تلـك الموضوعات التي لم يتركها شعراء الجيل الماضي من مديح فى مناسبة، او تهنئة بمولود ، او هجاء او عتاب ، دون ان يظهر للعاطفة اثر من الاثار فى هذا الرصيد الضخم من الشعر .

اما الثورة على اللغة الشعرية ، فانها تتجسم فى كلمة جبران « لكم لغتكم ولي لغتي، لكم من لغتكم البديع والبيان والمنطق ولي من لغتي نظرة فى عين المغلوب ، ودمعة فى جفن المشتاق، وابتسامة على ثغر المؤمن ، واشارة فى يد السموح الحكيم . لكم منها ما قال سيبويه وابو الاسود ، وابن عقيل ومن جاء قبلهم وبعدهم من المضجرين المملين ، ولي منها ما تقوله الام لطفلها ، والمحب لرفيقته ، والمتعبد لسكينة ليله، لكم لغتكم عجوزا مقعدة ، ولي لغتي صبية غارقة فى بحر من احلام شبابها » (2) .

هذه الثورة العارمة على اللغة تحكي لنا ثورة الناقـد الانكليزي « لرنر » على « الكليشيات » من التعابير (3) ، التي تخلو من العاطفة ، وتفتقر الى الحب . ومن هنا كان هؤلاء لا يرون الشعر الا نفثة المكروب ، ووثبة المبتهج ، وانطلاق الفرح ، والتعبير عن مكنون النفس ، وان كانت اللغة التي تعبر عن هذا لا تحمل طابع القوة ، ولا تمتلىء بالزخرف والزركشة .

ولعلنا قد دمجنا حديثنا عن الناحية الثانية من التجديد فى ثنايا الكلام عند الناحية الاولى ، حين جعلنا ذلك يتجه بهم الى موضوعات تدور حول هذا الانسان من حب طـاهر لا تهمه مفاتن الجسد ، الى حنين دائم لا يخالطه الفتور ، الى الم « رومانتيكي » عميق ، الى التفاني فى الطبيعة والاندماج بها .

---

(1) شعر مسعود سماحه . (2) بلاغة العرب فى القرن العشرين .
(3) فى كتابه English Literature

والواقع ان الفلسفة تملأ كيان هؤلاء، فهم فى كل شعر ينظمون انما يعبرون عنها ، ولكنها فلسفة تختلف عمانعرفه عند المتنبي وابي تمام والمعري ، فهي فلسفة ثورة قبل كل شيء ، وميدانها امامهم واسع رحيب ، فهذا هو الانسان الضعيف يقيد نفسه بمجتمع ضيق ، ويضع لنفسه قوانين صارمة ، وتقاليد متينة ، وبذلك يضيع جوهر حقيقته وطبعه ، ويملأ نفسه بهذه« الثنائية» من خيروشر ، وايمان وكفر ، ونور وظلام،فلا يستطيع هؤلاء المنطلقون من الشعراء الا ان يثوروا علىذلك كله، ويرود لهم جبران ونعيمه ونسيب عريضه وابو ماضي ، فيما يقولون من شعر ، وما يرسلون من نثر .

فها هو جبران يفر من هذا العالم ، ويأوي الى عالم اخر خيالي :

يا بـلادا حجبت منـذ الازل كيف نرجوك ومن اي سبيل
اي قفر دونهـا اي جبـل سورهـا العالي ، ومن منا الدليل
أسراب انت ام انت الامـل فى نفوس تتمنى المستحيل

ويدعو الى الانعزال والانفراد فى قصيدته «المواكب» :

فان رايت اخـا الاحلام منفردا عن قومـه وهو منبوذ ومحتقر
فهـو النبي وبـرد الغد يحجبه عن امة برداء الامـن تـأتزر
وهو الغريب عن الدنيا وساكنها وهو المجاهر لام الناس او عذروا

ثم يفر الى الغاب، الى حيثتمحي التناقضات اوالثنائية ولا يبقى طيف لتلك الظلال الانسانية المصطنعة ، بل هنالك الانسان الذييدعو الى وجوده «روسو» ويرجع الىالطبيعة ليصفى من كدر ، ويهنأ من شقاء .

وهذا هو الياس فرحات يحن الى الغاب نفسه فيقول :

احن الى الغاب حيث الشرور هنـالك نيرانهـا خامدة
احن الى حيث لا يجلس الغـد ر قرب الوفـاء الى مائـدة
احـن الـى حيث لا المنكـرات تعيش ، ولا الاعـين الحاسـدة

يفرقون بين مسلم ومسيحي ، ولا بين من يقول بوجود الله ومن ينكر هذا الوجود ، فالناس جميعا ابناء دين واحد ــ كما يقول جبران ــ هو الروح : « احبك يا اخي ساجدا فى جامعك ، وراكعا فى هيكلك ، ومصليا فى كنيستك ، فانت وانا ابناءدين واحد هو الروح» وهذا هورشيد ايوبيقول:

اصلي لموسى واعبـد عيسـى واتلـو السـلام علـى احمد

ويشارك «المعلوف» المسلمينفى اقامةالعيد النبويوينشد فيه قصيدة مطلعها :

وحد الله فالمؤذن وحـد وبذكر النبي فى العيـد انشد

ولعل هذه الثورة على مفهوم الاديان انما اتتهم مما كان شائعا فى بلادهم من تعصب ديني مصدره الجهل البعيد عن الروح الديني الصحيح فلم ينته بهم الامر الى هدوء طبيعي، او الى تسامح حق ، بل عاد ثورة تأكل نيرانها يابس الجمود ، وجزل التعصب المقوت .

وقد نجد تحرراً من نوع اخر ، هو هذاالفرار منالمجتمع الانساني ، والرحيل الى عالم اخر ، وهناك يفضي الشاعر بما فى نفسه من افكار ثورية حول المجتمع ، وبغض دفين لهذه البيئة التي يعيش فيها ، فرحلة فوزي المعلوف «على بساط الريح» هي ضرب من هذا الذي ذكرت ، وتظهر عنده تلك النقمة بمخاطبته للطيور حين وصل الى عالمها ، وظنت به الظنون ، وداخلها الخوف منه ، وخشيت وجوده بينها :

لا تخافى يا طير ما انـا الا شاعر تضطرب الطيور لشعره
فـر عن ارضـه فرارك عنهـا من اذى دهـره وتنكيل دهره

ويتضح هذا الجانب اكثر اذا علمنا ان المعلوف كانيعتبر نفسه عبدا للحياة والموت ، للشرائع والقضاء، للمالوالخلود فاذا ترك هذه العبودية التي يرزح تحتها البشر كـافة ، كان تركه نفسه ثورة على قيود فرضت عليه ، وشرائع سنها القوي :

انـا عبـد الحياة والمـوت امشي مكرهـا مـن مهودهـا لقبوره
عبد مـا ضمت الشرائع مـن جو ر يخط القوي كـل سطوره
بيراع دم الضعيف لـه حبـر ونوح المظلـوم صـوت صريره
انـا عبد القضـاء تملأ نفسي رهبـة مـن بشيره ونـذيره
عبد اسمي ذوبت روحي وجسمي طمعـا فى خلـوده ونشـوره

واذا اردنا ان نرد هذه الثورة فى شعر المهجر الى شيء من تأثيرات الغرب ، فاننا نجد ان الحركة «الرومانتيكية» هي اكثر الحركات اثرا ، واقواها وضوحا ، فالرجوع الى الطبيعة عند «روسو» ــ المهد الكبير للرومانتيكية ــ هو نفسه العودة الى الغاب عند جبران وفرحات ونعيمه وابي ماضي ، والثـورة علـى قوالب اللغـة التقليديـة عنـد « الرومانتيكيين » امتد اليهم ليكون شعلة فى نفس جبران وثورة فى «غربال» نعيمه ، والحديث عن النفس والعاطفة الذي نجده عندهم هو الوتر الحساس الـذي تتميـز به الرومانتيكية وكذلك عن مفهوم الدين والثورة على المجتمع والتقليد .

ويبقى التقاء هام بينهؤلاء واولئك ، هو هذا الشعرالذي يصف الطبيعة ، ويمتزج بها الشاعر ، فقد وصف نعيمـه النهر المتجمد ورآه شبيها بقلبه حين فقدَ الامال ، ووصف «شكرالله الجر» العاصفة ووازن بينها وبين حياته ، كما تأثر الشاعر القروي بذبول ورود الحديقة ، بل كان مـن شعراء المهجر من يدعو الى الايثار الذي يلمسه فى عناصر الطبيعة من انهار تروي الاراضي الخصبة والاراضي الجدب الى سحاب يروي الظمأ كما يروي غيرهم .. كل ذلكيحكي لنا الى حدكبير معالم الطبيعةكما تبرز عندشاعر رومانتيكي مثل «وردذورث» او شاعر مثل «شللي» .

حلب

محمد خير الحلواني

مع الفارابي في مدينته الفاضلة

بقلم فوزي خليل عطوي

يوم تأنسنت فى خاطر الموجود احداث الوجود ، ويوم بدا يشعر انه المحور الذي تدور حوله هذه الاحداث لاذرة تدور فى فلك المجهول ، يومها وقف يفلسف اسرار وجوده واستمراره ، ويتفلسف على اسرار هذا الاستمرار، وذاك الوجود .

وكان اذ ذاك منطلق الفكر الى عالم ما وراء الفكر ... وكان تنكر الموجود لحيوانيته ، لشهواته ، لغريزته ، ومن ثم ارتقاؤه الى المعقولات ، الى الروحانيات بكل اشكالها ومراميها .

ومن هنا ، من هذا المنطلق بالذات ، احس الانسان بانه، انسانيا ، محور لذرات الكون ، وانه لكذلك اجتماعيا ، ذرة من كل ما فى الكون ، فشعر باجتماعيته ، ومجتمعيته ، وشعر بانه لم يخلق ليعيش وحده ، وجد ليصارع البقاء ، ولينتصر ، بالمؤازرة والتعاضد ، على ما يعترض سبيله من موانع وعقبات .

وبذلك كان شوقه الى الاسرة ، الى الكهف يأوي اليه هربا من كواسر الوحوش ، ودعايات الطبيعة ، ثم الى المنزل، فالحي ، فالقرية ، فالمدينة .. حيث الشعور باجتماعيته ومجتمعيته يهيكل واقعا ملموسا فى علاقته بالوجود الاخر، بكل الناس .

وللمرء ، سواء وحده عاش ، ام عايش سواه ، نزوات ونزعات .. له رغبات يتلمس بها سعادة مباشرة ، وله احجام عن هذه الرغبات ، يظن ، بعده ، ادراكا لخير ، ووصولا لسعادة . ولقد درج التفكير ، فردية وانسانية ، على اعتبار النزعات والنزوات فى اساس الرذيلة ، بينما الفضيلة يعتبر مرتكزها الاول احجام الانسان عن رغباته وابتعاده عن سبل النزوات .

ونحن ولو كنا نفهم بالفضيلة امرا وسطا بين رذيلتين ، فاننا نعرف ان تاريخ الصراع بين الفضيلة والرذيلة ليس جديد العهد ، بل هو قديم قدم ما صراع الفضائل والرذائل هو الاخر قديم وعتيق .

ولكن كيف يكون لانسان يعايش غيره من ابناء جنسه ، ان يقوى على البقاء ، وان يكفل لنفسه الاستمرار فى خط السعادة الخيرة المتصاعد ، وهو الذي يواكب ، او تواكب حياته الفضائل والرذائل ، فى صراعهما المستمر الذي يبعده عن الحقيقة ، ويرمي به فى المبهم المجهول ؟!

ان لهذا الانسان المجتمعي ، عند الفارابي ، وعند غير الفارابي حكاية ، هي القيم الروحية السامية ابدعت حروفها، وهو التوق الى الاصلاح المرتكز على اساس فلسفي ،هيكلها واقع يعايش !!

ذلك ان الفارابي فيلسوف.. وهو فيلسوف متدين ، يؤمن بالعقل وسيلة للمعرفة ، وبالمنطق سبيلا للتأكيد من حقيقة هذه المعرفة .. ثم هو مؤمن يعرف انه بغير الروحانيات لا تسعد النفس ، وانه بغير التدين لا يصطلح مجتمع ولا تفضل مدينة .

الفارابي يؤمن بان الانسان مدني بطبعه .. ولكن كان لم يتوصل ، فى حقبة قاهرة من تاريخ وجوده ، الى مدنيته، او انه تخلى عن هذه المدنية ، بحسب الظروف المكانية والزمانية ، فذلك لان المبادىء التي يستطيع العقل ان يقدمها لصاحب هذا العقل ، كي يكفل له السعادة ، كانت غير متبعة ، غير محترمة ، بمعنى اخر ان العقل كان عاجزا عن ان يواكب الواقع ، لا لعجز فى هذا العقل بالذات ، بل لتقصير الواقع عن الانصياع لمبادىء العقل .

المصيبة اذن كلها فى الواقع . المصيبة فى الذين يملكون العقول التي تنير السبيل ، دون ان يسيروا على هدى العقول ، او ان يستنيروا ، وسبيلهم ، بنورها الهادي .

فلماذا لا نعالج المجتمع الواقع ، هذا الضال التائه ، بالعقل المفكر ، الناضج الواعي ؟!

كانت هذه هي الطريق التي وقف امامها الفارابي . كانت طريقا وعرة المسالك ، صعبة الاجتياز ، الا انه بالعقل ، بالتدين ، بالقيم الروحية السامية التي آمن بها .. بكل هذا ذلل العقبات ، وحاول اجتياز الطريق ، وتسهيل المسالك الوعرة تلك .

ادرك الفارابي ان المجتمعات البشرية ، كل المجتمعات ، تنقسم الى قسمين : المجتمعات الكاملة ، والمجتمعات الناقصة .

اما المجتمعات الكاملة فهي بدورها تنقسم الى ثلاثة اقسام هي : الكبرى والوسطى والصغرى . ولقد عنى بالكبرى العالم كله ، البشرية بمجملها . وبالوسطى اراد الامة ، الوطن . ورمى بالصغرى الى المحيط البيئي ، الى المدينة .

واما المجتمعات الناقصة فهي القرية والمنزل ، ثم لماذا لا يكون الفرد نفسه مجتمعا غير متكامل الاسباب ؟!

هذه المجتمعات الناقصة عاجزة عن تحقيق السعادة القصوى للانسان الفرد ، او للمجموع الانساني لانها لا تستغني بعضها عن البعض الاخر ، ومثالها الاكبر يجب ان يفتش عليه في المجتمعات الكاملة ، في العالم ، في الامة ، في المدينة .

اذن فتحقيق السعادة صعب جدا في المجتمعات الناقصة فهل تتحقق هذه السعادة في المجتمعات الكاملة كلها ، يا ترى ؟!

ان المجتمعات الكبرى والوسطى مترامية ، واسعة متباعدة ، بحيث لا يمكن السيطرة عليها كلها ، او بالاحرى لا يمكن لمبدأ فاضل ان يشملها كلها ، بالنظر لاختلاف

العناصر البشرية التي فيها ، ولاختلاف طبائع هذه العناصر واخلاقها ، ومفاهيمها المجتمعية ذاتها .

ولو ، جدلا ، فرضناان هذه المجتمعات الكبرى والوسطى يستطاع اصلاحها مباشرة ، افليست كل هذه المجتمعات مؤلفة من مدن الى جنب مدن، كانت في ماضيها مجتمعات ناقصة ، ثم تكاملت وكملت ؟!

فلماذا لا نبدأ من اول الطريق ؟ لماذا لا نصلح المدينةنفسها فنصلح الامة ، ونصلح العالم ؟!

من الواقع ، اذن ، انطلق الفارابي ، واراد ان يعود الى الواقع ليصلحه بالمبادىء السامية، وليبنيه مدماكا فوق مدماك بما يماشي فلسفة الاخلاق ، وشرائع السماء .

وليس اسهل من البناء لو انه بناء فقط. اما اذا كان البناء سيحل محل بناء عتيق ، فاذا ذاك الصعوبة ، واذ ذاك العمل الخلاق .

وحمل الفارابي ، لذلك ، معول الهدم ، وراح يوجه الى مجتمعه، صنو مجتمعنا نحن ، وكل مجتمع آخر، شتى انواع الانتقاد ، محاولا بذلك ان يدحض الواقع الفاسد الذي كانت عليه تبنى المفاهيم الاجتماعية الفاسدة التي لو يتسع المجال لها جميعا لكانت تتطلب المجلدات، ولقد اراد بذلك ان يحقق واقعا جديدا ، يستطيع فيه ان يطبق المفاهيم الجديدة ، وان يخلق بالتالي مجتمعا فاضلا جديدا ذا آراء جديدة بناءة ، ولكن ماذا هدم الفارابي ، وما هي الانتقادات القاسية التي وجهها لمبادىء اهل المدن غير الفاضلة ؟

نبادر فنقول ان النقد لا يضيره ان يكون قاسيا اذا كانت قساوته سبيلا للبناء المتماسك الصالح فهل كان نقد الفارابي القاسي لمبادىء اهل المدن غير الفاضلة بناء ؟.. هل كان نقده موجها للخير ، وموجها للحق؟ وما هو هذا النقد القاسي البناء ؟!

قبل كل شيء ، انتقد الفارابي المجتمع ، وقسمه الى اشكال متعددة ، بعد ان نقى صالحه ، وفند طالحه ، فوجد ان المدن غير الفاضلة هي المدن الجاهلة والفاسقة ، والمبدلة، والضالة ، ومبادىء هذه المدن كلها التي لم تكن تحقق لهم السعادة ، تدل على المبادىء الخلاقة ، مبادىء الحق التي تحقق سعادة الفرد ، في اطار سعادة المجموع ، يجب ان تكون نابعة من صميم الدين ، ومن صميم المفاهيم الخلقية، في الوقت الذي ترتكز فيه على مفاهيم فلسفية .

وهذا صحيح. ولكن انتقاد المجتمعات، بما هي مجتمعات جاهلة او فاسقة ، او مبدلة او ضالة لا يحقق الغرض المنشود ، اذ النقد ليس هدما فقط ، انما هو بناء ، قبل كل شيء .

اذن يجب ان نعالج الفكرة من زاوية جديدة ، يجب ان نستشف نقد الفارابي من خلال المخطط الواضح الذي وضعه الفارابي نفسه لبناء المدينة الفاضلة ، ومن ثم جميع المدن الفاضلة ، اذ من الطبيعي ان ما هو متوفر في المدينةالفاضلة غير متوفر اساسا في المدن الجاهلة .

يقول الفارابي : « اذا كانت المدينة مما يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الاشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة فتلك هي المدينة الفاضلة . »

التعاون اذن ضروري ، وهو يجب ان يوجه الى ما يحقق السعادة القصوى . فكيف يتم التعاون ؟!

هنا يجب ان نتخلى عن«الانا» .. يجب ان يشعر «الانا» باشتراكية المصير مع « الانت » حتى يحقق معا سعادة « النحن » اي سعادة المجموع كله .

الانانية يجب ان يتخلى عنها في التعاون البشري، يجب ان تنصهر الانانية في بوتقة مصلحة المجموع .

والانسان ، قلنا ، لن يخلق ليعيش وحده . خلق ليعايش غيره . ولما كانت المدن ، قبل ان يفكر بجعلهافاضلة غير فاضلة ، كان من الواجب لتصير فاضلة ، ان يكون فيها رؤساء وحكام يتدبرون امور الرعية ، بما يوافق مصلحتها التي تتقرر على ضوئها مصلحتهم .

والحاكم بالنسبة للمجتمع ، ولنقل للمدينة ، كالعقل بالنسبة للانسان . العقل وحده يدير حركات الانسان ، فتعمل الاعضاء كلها بوحيه ، وعلى هديه ... وكذلك الحاكم ، فهو الرأس الموجه ، هو العقل المفكر ، الذي يضع للرعية المخططات ، فتنفذها بحكمة ووعي ودراية ، لانها تعرف ان في تنفيذها وتطبيقها يكمن تحقيق سعادتهاهي.

والرئيس قبل ان يكون رئيسا ، يجب ان تتوفر فيه شروط عديدة ، يقول الفارابي : « ورئيس المدينة الفاضلة ليس يمكن ان يكون اي انسان اتفق لان الرئاسة انما تكون بشيئين : احدهما ان يكون بالفطرة والطبع معدا لها ، والثاني بالهيئة والملكة الارادية ..»

ثم يتحدث عن الخصال التي ينبغي توفرها في الرئيس فيقول ان حال الرئيس لا تتوفر الا لمن اجتمعت فيه بالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها وهي باختصار : ان يكون تام الاعضاء ، جيد الفهم والتصور ، جيد الحفظ لما يفهمه ، جيد الفطنة ذكيا ، حسن العبارة ، محبا للتعلم والاستفادة غير شره على المأكول والمشروب ، محبا للصدق واهله ، كبير النفس ، محبا للعدل واهله ، عدلا غير صعب القياد ، قوي العزيمة ، زاهدا بالمال ..

هذه الشروط لا تكتمل الا في الانبياء . وهل يمكن ان يكون لكل مجتمع نبي او حكيم فيلسوف على الاقل ؟

يقول الفارابي : «فاذا لم يوجد انسان واحد اجتمعت فيه هذه الشرائط ، ولكن وجد اثنان ، احدهما حكيم والثاني فيه الشرائط الباقية ، كانا هما رئيسين في هذه المدينة فاذا تفرقت هذه في جماعة ، وكانت الحكمة في واحد ، والثاني في واحد ، والثالث في واحد ، والرابع في واحد ، والخامس في واحد ، والسادس في واحد ، وكانوا متلائمين ، كانوا هم الرؤساء الافاضل . فمتى اتفق في وقت ما ان لم تكن الحكمة جزء الرئاسة ، وكانت فيها سائر الشرائط ، بقيت المدينة الفاضلة بلا ملك ، وكان الرئيس القائم بامر هذه المدينة ليس يملك ، وكانت المدينة تعرض للهلاك ، فان لم يتفق ان يوجد حكيم ، تضاف اليه

المقاطع الاخيرة

عينـاك يـا حلـوة … عينـاك قيثـار
غنى لهـا نيسـان … وانبـح نـوار
شربت مـن عينيك … كأس الهوى حلوة
ورحـت فى دربي … أسائـل السروة
عن موعـد بالامس … فى ظلهـا كـانـا
تـرى ترى مـا زال … يشتاق لقيـانـا
لما يزل حلمـا … فى خـاطري لمـا
يطـل تقبيـلا .. … وان يـذب ضـمـا

انـا فى دربـي هنـا انتـظر … وعلـى دربـي ينـام القمر
يتمنى الـورد لو يغنى علـى … صبوتي ، لـو يستطيع الزهر
فالرسـالات التي سـطرتهـا … هي مسـلاتي وركني وعزائي
التواقيـع سـرت فى عصبي … ثم ذابـت فى شرايين دمـائي
فاذا فتحـت عينـي لا تـرى … غـيرهـا ، تقراهـا ثم تعيـد
وهي مهما قدم العهـد بهـا … تبعث الماضي وتحيـا من جديد

التينـة العـذراء كـم … حفظـت لنـا وعـدا وسـرا
تشـرين مـزق شـالهـا … ومشى عليهـا العري كبرا..
هي مثلنـا حرمت حنـان الصيف حـين الصيف فرا ..
كم قبلة لنـا فى ندي ظـلالهـا السـمحاء سـكرى
سـرق الهـوى ايـامنـا ومضى بهـا عجـلا ومـرا
وظللـت انت على غريب الدرب كـالمسحور حـيرى
وانـا ظللـت اصب احـزاني على القـرطـاس شـعرا

دمشـق … **توفيـق صرداوي**

لم تلبث المدينة ، بعد مدة ، ان تهلك .»

هذه حقيقة قررها الفارابي ، منطلقا من الواقع . ولقد اراد بذلك ان يعالج الواقع ذاته ، الا انه لما انطلق من الواقع استوحى الكثير من القيم الروحية السامية ، وما ان عاد الى هذا الواقع ، حتى لقيه كما فارقه ، متخبطا في فساده فلا الحاكم المثالي متوفر ، ولا الاولاد راضون عن تفاوت طبقاتهم ، رغم كونها واقعا ملموسا .

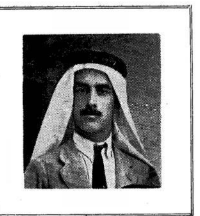
ولقد اقر الفارابي الطبقية ، ولكنه اراد ان ينظمهـا ، كما فعل من قبله افلاطون في «جمهوريته». ولكن تنظيم الطبقية كان اصعب ايضا من ايجاد الحاكم المثالي الـذي يستطيع ان يقوم بهذا التنظيم .

كل هذا جعـل الفارابي يؤمن بان المدن غير الفاضلة التي تعرض لها لم تكن محدودة في اطار المكان والزمان ، بل هي مستمرة باقية ، ما بقي المكان ، وما طال الزمان .

لقد اراد الفارابي ان يكون واقعيا فى معالجة الواقع ، الا انه عندما طلع على المجتمع بارائه البناءة الجديدة ، نبذ الواقع اراءه ، ففاته تطبيق مبادئه ، لان السبيل امام هذه المبادىء لم يكن ممهدا تماما ، ولان المجتمع الفاسد لا يقدر ، بطفرة ، ان يدرك الصلاح .

ولكن اذا نبذ واقع الفارابي اراء الفارابي فان آراءه تلك تبقى القمة المئناف من حيث المبدأ الخير ، والهـدف الامثل .

فوزي خليل عطوي



جميل دياب شاعر فقدناه

بقلم البدوي الملثم

في السابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٥٩ لف الردى فى مدينة اربد من اعمال الاردن الشاعر الفحل المرحوم جميل دياب ولم يواكب جنازته سوى قرينته وشقيقتيه ونفر من ذوي زوجه ، ومن الانصاف للتاريخ وللعاملين فى الحقل القومي ان يؤرخ جميل دياب وان ينوه بفضله نظير الجهود التي بذلها منذ كان طالبا ، فى حقل القضية العربية ، ومن اجدر مني وانا رفيقه قرابة ثلاثين عاما ، بنصفته والتنويه بمآثره الوطنية وجهوده القومية ؟!

ان لجميل دياب فضلا على القضية الكبرى وان له على تاريخهاذمما تحتم على مؤرخها ان يدونها انصافا للرجل الذي قضى نحبه طريدا شريدا عن بيروت ، مسقط رأسه ، ولعلي فى هذه المجلة اكون قد اديت بعض ما للراحل على العرب وتاريخهم القومي من حقوق وذمم !

لمحة عابرة

ـ فى اعقاب عام ١٩٥٨ اقعد الداء (جميلا) فى فراشه فعدته فى منزله واستوضحته بعض ما فاتني من تاريخ حياته ، فعقد الحياء لسانه وكلما الحفت بالطلب لاذ صديقي بالصمت واخذت عيناه تهمعان بدمع سخين لكني احرجته بالسؤال وشددت عليه شدا عنيفا واخيرا لبى مطلبي وافضى الي بالنبذة التالية :

ولد فى بيروت عام ١٨٩٨ وتلقى دروسه الابتدائية فى مدرسة الشيخ رضا القباني والحاج بشير البنا فى (البسطة التحتا) وانتقل الى مدرسة الشيخ توفيق خالد (على السور) وفى عام ١٩١٢ نال شهادته الثانوية من الكلية الاسلامية (١) لمؤسسها الشيخ احمد عباس الازهري والتحق بالجيش التركي برتبة ضابط وخدم فى الاناضول عاما ونيف وفى عام ١٩١٦ هرب الى بيروت وتزيا بزي اعرابي وهرب الى عكا حيث عين معلما فى قرية (المكر) التي كان يملكها المرحوم صالح المحمد الشبل رئيس بلدية عكا الاسبق وظل فيها الى ما قبل نهاية الحرب العالمية الاولى حيث التحق بالجيش العربي بقيادة المغفور له الملك فيصل الاول وعين ضابطا وعمل فى لوائي الكرك ومعان

وفى عام ١٩١٩ التحق بـ (دار الاعتماد العربي) فى بيروت وكان يراسها جميل الالشي وادى خدمات جليلة للاستخبارات العربية التابعة لـ (دار الاعتماد العربي) بالاشتراك مع صديقه المرحوم الدكتور عبد اللطيف البيسار وابان تنقل جميل بين طرابلس ـ بيروت استهدف لمخاطر الفرنسيين وكاد يلاقي حتفه !

وفى عام ١٩٢٠ استقر فى بيروت وانتسب لكلية الحقوق فى الجامعة اليسوعية وصرف فيها عامين كان خلالهما مثال الذكاء والالمعية وبعد ان استفحل امر الفرنسيين فى سوريا ولبنان هرب الى جبل الدروز فعمان حيث زاول التعليم فى مدرستها الاعدادية وشغل مركزا مرموقا فى وزارة الخارجية الاردنية .

ولا يفوتني ان اشير الى عمل جريء نادر قام به جميل وكان حديث المجالس والصحافة فى لبنان عهد ذاك وخلاصة ذلك ان الفرنسيين بعد ان نفذوا برنامجهم الاستعماري بتقويض دعائم الدولة العربية الفيصلية واحتلال سوريا ولبنان دعا الجنرال غورو فى اليوم الاول من ايلول عام ١٩٢٠ . الى الاحتفال باعلان « دولة لبنان الكبير » فى ميدان السباق ببيروت وفى (قصر الصنوبر) وقف (غورو) حاسر الراس واعلن قيام (دولة لبنان الكبير) واستقلالها بضمانة فرنسا وتحت حمايتها .

وبينا الفرنسيون وشهود الحفل يحتفلون بتلك المناسبة اخترق جميل دياب صفوف الحرس والقوات العسكرية ودخل غرفة (غورو) بطريقة لبقة واخذ قبعته والصق فى داخلها علما عربيا وبارح القصر على عجل ، وما ان انتهى المهرجان وعاد (غورو) الى مقصورته وحمل قبعته ولحظ العلم العربي فى داخلها حتى انتفض كالملسوع وقذف بالقبعة وامر بالشروع فى التحقيق لكن على غير طائل !

اول لقاء

فى عام ١٩٢٧ حملتني ظروف عصبية على هجر مدرستي ـ الى حين ـ وزاولت التجارة تغلبا على تلك الازمة وفى

---

(١) ـ من مشاهير طلاب هذه الكلية ، كما حدثني جميل دياب : الامير عادل ارسلان ، عبدالقادر الخرسا ، جمال علي اديب ، الدكتور نسيب البربير ، الشهيد عبدالغني العريسي ، الشهيد عمر حمد ، توفيق الناطور عمر الزعني ، جميل دياب ، عارف النكدي ، معروف الارناؤوط ، رياض الصلح ، جميل مردم ، علي ناصر الدين ، الدكتور بشير القصار ، نجيب بليق ، عبدالله المشنوق ، عبدالله اليافى ، حسين العويني .

يوم من ايام نيسان من ذلك العام دلف الى حانوتي زائر يرتدي ثيابا عسكرية ودفع الي بطاقة (توصية) من الشاعر المرحوم مصطفى وهبي التل فرحبت بالزائر واصطحبته الى منزلي وعلى خوان الطعام علمت منه ان السلطات فى عمان قررت نفيه الى الكرك بسبب شربه الخمر مع صديقه التل وتفصيل ذلك ان جميلا ومصطفى يمما ذات ليلة (بار ابي ناصيف) فى عمان وشرعا فى معاقرة الخمرة فدب دبيبها فى العروق وتناسى كلاهما انهما معلمان فى مدرسة اميرية فنشطا الى نظم القصائد اللاذعة وهجو ذوي الشأن والتنديد بهم فافضت تلك الجلسة (النواسية) الى عزل كليهما لكن لجنة التحقيق عادت فقررت نفي جميل الى الكرك معلما في ثانويتها اذ خشيت عليه من بطش الفرنسيين وتنكيلهم به فى حالة ابعاده الى لبنان !

وصرفنا الليلة الاولى فى الحديث الماتع الطريف عن الشعر والادب وتوثقت اواصر الصداقة بيننا الى حد اننا رفعنا (الكلفة)وغدونا اخويين حميمين !

تجاوب نفسينا

كان بين جميل دياب وبيني تجاوب بعيد المدى ومن طريف ما اذكره القصة التالية :

بعد عملي فى حقل التجارة سنوات استأنفت دراستي الثانوية ونلت شهادتها وحاولت ايجاد عمل حكومي لكن ضيق الجهاز عهد ذاك حال دون تحقيق امنيتي فعدت الى الكرك خالي الوفاض كئيب النفس وقضيت عاما كاملا لا اريم منزلي يأسا من الحياة وجزعا من ظلمها وكان جميل دياب والكتاب عزائي وسلواي :

وذات ليلة دلف الي جميل حاملا قارورته واخذ يحسو كأسا من العرق واخذت اداعب القلم وخطر لي ان انظم قصيدة اصف فيها سوء الحال واشكو ظلم الزمان وقسوته فنظمت هذه الشطرة : « ماذا فعلت مع الزمان القاسي ؟! »

واذا بجميل يملي علي (العجز) والكأس فى يده بقوله :

« حتى اعيش وما لدي مؤاسي ! »

وهنا اخذت انظم (صدر) البيت وجميل ينظم عجزه فكانت القصيدة المشتركة :

ماذا فعلت مع الزمان القاسي ؟ حتى اعيش وما لدي مؤاسي !
قد عشت احسوها مرارة محبة لم الق فى الدنيا لها من حاسي !
فحسوت كأسي وهو سم علقم يا حبذا سم يخالط كأسي !
سم يلذ لكل نفس حرة هو بلسم من عاديات الناس !
لم ادر هل قولي مقالة عالم بالناس ام ضرب من الوسواس !

كان جميل حدوبا على الكأس وله فى الراح اراء خيامية ونظريات فلسفية ومن ذلك قوله :

علل النفس براح تجعل الروح براحه
طال ليل الهم حتى اطلع الساقي صباحه
نفثت فى الميتروحا بعدما ملوا نواحه!

وفى حفلة سمر وطرب جلس جميل الى الشرب مع رهط من ندمائه وانشد والدعابة تشيع فيما انشد :

اشرب فتى البشر وكن مفراحا واشمم سلافا عطرها قد فاحا
واعطف على (سعد) وزر (صلاحا) واذكر (جميلا) خير من تصاحى
هذي الوجوه اشرقت صلاحا قد بزغ الحق لنا ولاحا
العيش ليل اوقدوا المصباحا ولا تهابوا كلمي الصحاحا
قد راح من لا يستسيغ الراحا العمر محدود فلا يلاحى
لا تقطعوه كله نواحا حق علينا ان نكن سماحا
فلنجتل ساعاته الملاحا من لم يجد فى قولنا ارتياحا
صيحوا به مستهزئين : (حاحا)

وتلمس اثر الخيام واضحا فى جل شعر جميل وذات ليلة اخذ يداعب الكأس فأملى علي ابياتا جمعت الى فلسفة الخيام نظرة جميل الصائبة الى الحياة وعواديها :

كلما ضقت بالخطوب ذراعا عاد قولي اليك حكما مطاعا
اترانا وقد عقلنا جميعا نعد الحق ان يكون مطاعا ؟!
هو يوم وجدت فيه الاماني من حياتي وكان قبل مضاعا !
لا تكن فى الحياة نضو هموم لن تذوق الحياة الا صراعا
تصرف الخير من حياتك كدا لتلاقي اليسير يوم تراعا
اترى ندرك الحياة وندري لذة العيش ام نسدك القلاعا ؟!

وذات يوم عانى جميل ازمة نفسية حادة فى عمان فجلس الى الكأس فى (بار ابي ناصيف) ونظم متحديا الزمان بعرنين اشم :

يبكي فؤادي وعيني غير باكية لا تبكي ياعين خزي منك بكياك
ضاقت ضلوعي بهم ليس تحمله شم الجبال ووجهي وجه ضحاك
ان كان موتي بنفسي فهو اجدر بي من ان اعيش وحولي شامت باك
خلق جموع ونفس ملؤها صلف لا تعرف الهون يا دنيا حدياك !

كان جميل يرحمه الله ، ذا قلب رقيق حساس ونفس مرهفة الشعور ومما اذكره فى هذا الصدد ان الدكتور عمر فايق الشلبي ، مدير التربية والتعليم فى لواء عجلون ،تلا يوما على جميل ابياتا بالتركية تروي قصة فتاة هامت على وجهها فى الحدائق العامة واخذت تجمع اوراق الاشجار المتساقطة وتربطها الى الاغصان فاستطلعها الشاعر سبب عملها فاجابته بان اختها الكبرى مسلولة ولقد حدد زائر فصل الخريف ، عندما تتساقط الاوراق الذابلة موعدا لوفاتها وحرصا منها على شقيقتها المسلولة تريد ان تعيد ما سقط منها الى الاغصان كيلا تموت تلك الشقيقة !

سمع جميل الابيات التركية فطرب لروعتها ونظم من توه القصيدة التالية :

ابصرتها تشدو نشيد الاسى فى مقلتيها ادمع طافره
فى روضة اوراقها قد ذوت فما ترى فيهن من ناضره
تذهب من فرع الى اخر مشدوهة كالظبية الحائره
تلتقط الاوراق لا تأتلي تربطها فى سوقها الحاسره
ماذا يفيد الربط يا ظبيتي ماتت وريقاتك يا زاهره
ماتت ورفيقاتك يا ظبيتي لست على احيائها قادره
ان خريف السؤ اودى بها فهي الى دار الفنا صائره
تلفتت نحوي وقد ارسلت لآلئا من دمعها طاهره
وجاوبتني ونشيج البكا من وقعه كالطعن فى الخاصره

اغنية السراب

مهداة الى صديقي الشاعر عمر ابو ريشة

ما انت ؟ قل لي يا سراب تراك وشوشة الرمال ؟
ام انت ايماء من الواحات رجع للظلال ..
تمضي القوافل فى مداك وانت تشرد كالخيال
متألق البسمات والكثبان تشرق بالجمال ؟.

ما انت ؟ غدران الحمى همت باعطاء الجواب
وتساءلت كل الروابي الخضر ما بال الروابي ؟
قل يا سراب وبشر الركبان فى البيد الرحاب
انا دعوة الواحات اومىء للقوافل بالشراب ..

مصطفى محمود

من اسرة الجبل الملهم

شقيقتي في البيت مسلولة — وهي على اوجاعها صابره
سمعت يوما زائرا عندنا — يقول : قد اشفت على الاخره
وموعد الموت الخريف الذي — تسقط فيه الورقة الناضره
لذلك اجمع ما قد هوى — اربطها فى سوقها الحاسره !
رحماك ساعدني على جمعها — لست عليها كلها قادره
فهي كثيرات تغطي الثرى — وهي كاختي كلها خائره !

حسه القومي

فى كافة السنوات التي عاشها جميل كان عربي النزعة من طراز عال عجيب وقد آلمه ان يكون العرب غنيمة باردة لكل بغاث ولقمة سائغة لكل مستنسر فنظم شعوره صيحة على القرطاس بقوله :

واصباحاه ... واصباحاه نادى — فى ربوع الاعراب صوت النفير
هذه يعرب تحيط بها الاعداء — هبوا لدفع العدو المغير
انه المجد دونه الموت يا من — دفنوا الروح فى حضيض الحفير
انه المجد دونه الموت يا من — جعلوا الفرس طعمة للنسور
انه المجد دونه الموت يا من — هذبوا الكون بالحنيف الطهور
انقذوا الولد والنساء وعيشا — ان تموتوا يطب طوال الدهور
انقذوا الولد والنساء وارضا — انجبت كل اريحي هصور !

فى شهر آب من عام ١٩٢٩ زار مدينة الكرك (فى الاردن) المغفور لهما الملك علي بن الحسين والملك عبدالله فألقى جميل بين يديهما قصيدة عامرة ومن الذكريات التي ما برحت عالقة بذهني ان الملكين الهاشميين استعادا جميلا قصيدته مرة بعد تلاوتها واخرى على الطعام واخرى على الشاي ورابعة عند العشاء وفى اليوم التالي استدعيا شاعرنا النابغ وسألاه انشادهما قصيدة ذكرتهما بأمجاد خلت لبيتهما الرفيع ودونك بعض ابيات تلك القصيدة التي اثارت اعجاب الملكين وكانت حديث المجالس :

ابشر فتلو النصر فى عمان — افق يضيء وفيه نصرتان
نصر تراض له الامور لحينها — بمهند ومضمر ولسان
ما كنت يوما فى الحياة منافقا — كلا ولم اتأس بالكهان
قد علمتنا الحادثات بكرها — حقبا ولم تبرح على الازمان
لا تسلم العرب الاباة زمامها — الا لهذا الحي من عدنان
هم زحزحوا كسرى ودكوا ملكه — وعلوا بمجدهم على الايوان
هم الفوا من آل يعرب امة — بالفتح والتوحيد والايمان
هم بوأوا ابناءها بعد العرا — والقفر خير منازل الرومان
هم غالبوا صرف الزمان وكيده — فعلوا وقرت ضجة الحدثان
هم اولياء الله ادنى خلقه — منه واسبقهم الى الرضوان
من كان من آل النبي وبيته — ودعا اليه الله في ألقرآن
فعلام تقتحم الخطوب سبيله — اجلابها وسكونها سيان

هذه عجالة عابرة اكتبها للتاريخ انصافا لعبقري فذ جمع الى فن الشعر براعة بتاريخ العرب ونبوغا بالرياضيات العالية وعمقا بعلم الحقوق قل ان يجود الزمان بمثله ، ومراعاة لصفحات (الاديب) الكبرى اقف عند هذا الحد من الحديث وارسله سلاما الى جميل دياب جثة فى لحده ، ونفسا خالدة الى جوار ربه ، سلاما يرسله الاسيف الذاكر للعهد .

عمان — **البدوي الملثم**

شلالات ارقام

وجدتني جالسة الى منضدة ، تكدست فوقهـا الآلات الحاسبة واكوام الاوراق فاوحت الي هذه الاشياء بما يلي :

اســود وابيض
احـرف وارقـام
مسـتطيل ومسـتدير
كلها وضعت امامي
لتمر عليها انـاملي
ولتسمع منها اذني
انغاما متشابهة متلاحقـة
كأنهـا افكـاري

احمـر وازرق
ناعم وخشـن
احمـر ازرق
ابيـض اسود
كلهـا معي
كلها لا معنى لهـا

ولكنهـا وجدت امامي
انا بحـاجة اليهـا
وهي لا غنى لها عني

قرعـات وصمـت
قرعـات وصمـت

الايــام تتوالى
وصفحـة الزمـن
تنقلـب وتنقلـب
دون رحمـة او هـوادة
حتى ينتهي الكتـاب
فتنتهـي المـأساة الكبرى

شـلالات ارقام تنحدر

وفى سيلها المسـرع
ينجرف كل شيء
حتى افكارنا وامانينـا
ليت لنـا من العمر
لحظـة تأمـل

اصـوات والوان
اسـود وابيـض
احمـر وازرق
نـاعم وخشـن

قرعـات وصمـت
قرعـات وصمـت

حلب **رينه عبودي**

والامريكية .

فلا شك ان لابليس قضية . وسواء اكانت كبرى ام قليلة الاهمية فانها قضية على كل حال . ولو انني تمكنت من الوقوف على وقائعها لما ترددت فى نشر دفاعي عنه فى كتاب خاص . هذا اذا عثرت على ناشر شجاع يخاطر بنفسه فى التعرض لسخط الجماهير التي تضمر العداء لابليس واعوانه . ومما لا ريب فيه ان شريعة الانصاف والانسانية تحتم الدفاع عن كل بريء تكال له التهم جزافا

قد لا يكون من اللياقة ان نقدم لابليس مظاهر الاجلال والتعظيم ولكن يسوغ لنا على الاقل ان نعترف بمواهبه ومميزاته كيف لا وقد احتفظ منذ الازل ـ طيلة ملايين الاجيال ـ بمنصبه المهيب كرئيس روحي لاربعة اخماس الجنس البشري وكرئيس سياسي للانسانية جمعاء . وهو بهذه المنزلة يعد اكفاء الرؤساء الذين بيدهم الحل والربط واكثرهم دراية ، واشدهم خبرة باضخم الاعمال الادارية واخطر المهمات التنفيذية ! الا يتضاءل بجانبه غيره من الرؤساء والزعماء السياسيين حتى لا يمكن مشاهدتهم الا تحت المجهر ؟ الحق انني اتوق للقائه واؤثر ان امسك بتلابيبه لتحيته ذلك افضل على كل حال من ان اسلم بيدي على اكبر سياسي فى اوروبة » ...

وجاء فى بعض كتبه :

« كل ما هو انساني مؤلم حقا ، فالمصدر العميق للفكاهة ليس هو الفرح ولكنه الحزن ، فانا اطالع الجرائد كل صباح علما بأني سأجد فيها من مساويء الناس ما يجعلني اقضي بقية النهار ساخطا على الجنس البشري ... »

وهكذا فان كتابات صاحب الترجمة لم تقتصر على النوادر المستملحة والمقالات الفكاهية وتصوير وادي الميسبي بل تعدته الى جهات اخرى فاخرج عقب رحلته الى فلسطين كتاب (السذج اثناء السفر) و (مغامرات توم سوير الحطاب) واصدر بعد ذلك (الامير والفقير) وقد اخرجت شركة افلام امريكية هذه القصة وعرضت على الشاشة منذ بضعة اعوام فى بعض صالات السينما ببيروت. ثم كتب (الحياة فوق نهر الميسيسبي) و(الضفدعة النطناطة) و(مغامرات هلكيري فن) وغيرها مما يربو على سبعة عشر مصنفا ترجمها المترجمون الى لغات عديدة . وقد عكفت على قراءة هذه المؤلفات قراءة درس وامعان ووعيتها وعي الحافظ الواثق الواقف على دقائقها فاذا هي من حيث دقة الوصف وصحة التعبير من اروع ما كتب كاتب وابتكر مؤلف ورسم فنان ذلك لان فيها يتجلى الوصف الدقيق والتهكم اللاذع والفكاهة الحلوة التي تلج الى الذهن برشاقة وتدل على انها لكاتب انساني سبر غور الطبيعة البشرية الى العمق فكان دقيق الملاحظة ، ذكي الفؤاد ، متوقد الذهن ، عارف بالعادات والاخلاق ، واسع الاطلاع على علم النفس لانه يعرض الوانا من الخطوب فى صور جذابة ، تثير الضحك ، ولكنه الضحك المملوء بالعبر والعظـات ...

شفيق طباره

الالسنة الكافرة

ويقلن لك يا حلوتي
بئس مصيرك يا مجنونة
ففي غد اصفر مجرم سأسلوك
سأسلوك الى الابد
بعد ان احرق في ذاكرتي
دفاتر الندم
لاعود انسانا من جديد
احلم بمنجيرة .. ودن ..
وحرام ممزق عتيق
في غابة بعيدة طفلة ..
ويقلن ايضا يا حلوتي
ان الشياطين ستسرق ذاكرتي
وتشلحها في اعماق الارض السابعة
فلا يمكنني ان اذكر بعد ذلك
ليل حبنا ونجومه الكئيبة المجروحة
ورياحه المسلولة
التي كتبنا على الواحها
اجمل اناشيد الخلود
ولا الفراشات المصبوغة
برائحة النبيذ والنهود المحروقة
الفراشات الزهرية
التي كانت ترميها النجوم في حضنينا
ويقلن ايضا وايضا يا ملاكي
اني سأغدو انسانا مصروعا

فاحطم شبابيكغرفتنا الصبيةالخضراء
بوحشية
واقذف بدرفها
في البراري المجهولة ..
حتى الصور المعلقة في البيت
والمطرزة بالزنبق
الصور التي رضعت الضياء
من القمر ستين شهرا
سأبصق عليها وسأفقأ اعينها
وامعسها بحذائي
ثم ارميها في ظلمة بئر مجهول ...

حبيبتي ..
تعالي نخلق احاديث جديدة
للعزال المساكين يتسلون بها
تعالي نعد النجوم في النهار
ونفرط عقدك الاسود
الف الف مرة في الليل
ونبني القصور المرمرية
على الرمال الحزينة
فربما تحترق الالسنة الكافرة
الى الابد !..

غسان طربيه
اللاذقية ــ ضهر صفرا

الزواج قبل ان يغلق .
ونحن الان اسعد زوجين في العالم ...ترى ماذا ستقول لندن اذا عرفت قصة مغامرتي فيها خلال ذلك الشهر ؟
اما الورقة النقدية فقد اخذهاوالد بورتيا وذهب الى بنك انجلترا ففكها والفاها واعطاها لنا هدية الزفاف ، وهي الان في اطار انيق في منزلنا .. وانا اعزها جدا فقد اعطتني بورتيا العزيزة ، ولولاها ما كنت لاستطيع ان اعيش في لندن او اظهر في السفارة

وما كنت رايت بورتيا الحبيبة طوال حياتي ... حقيقة اني حصلت منها على مائتي الف جنيه ولكن بورتيا هي اثمن ما حصلت عليه منها .

القاهرة **منيرة عبد الجواد**

الصغيرة تكبر

امي عيناها زائغتان
زائغتان
الشمعة تلهث ، والشباك
مكسور
والريح تئن
وافكاري حزمة اشواك

امي عيناها غارقتان
فى بحر خيوط الالوان
غارقتان

وابي قد مات
ما خلف الا الآهات
والحسرات
قد مات ابي ، يوما ، سكران
لا اعرف كيف ..
ترى يا ناس لماذا يسكر انسان !
امي شابت
امي هرمت
امي
ما عادت ابرتها
تقدر ان تبدع لفساتين
كل الجيران
وردا ، وخيولا ، وبساتين
وحماما وحساسين
امي
عيناها ذابلتان
ذابلتان

وانا ما زلت صغيره
قدمي قد داست للان
تسعة اعوام
ـ وانا فى الصف الثاني
وسأنجح للصف الثالث ـ
وانا الاولى دوما في الصف
واحب معلمتي
واحب كذلك محفظتي
والكتب الحلوة ، والاقلام
واحب رفيقاتي في الصف
امي
تغويها الاحلام
تبغي ان تجعل ابنتها مثل اميره

الشمعة تلهث ، والسقف
يرشح ماء
والظل يرف
وابي في الصورة يرمقنا
بعيون تضحك ..
والحسره
تأكل صدره
ويزيغ امامي الحرف
فالخيط الجاحد مرتجف ،
لا يدخل في خرم الابره
امي
عيناها دامعتان
دامعتان
الدمعة تسقط ..
آه تسقط كالطوفان
كالطوفان

لا يا امي
اني قد صرت كبيره
قدمي ستدوس غدا يا ام
عشرة اعوام
عشرة اعوام
فانا ما عدت صغيره
وانا لن اقدر ان اصبح مثل اميره

يا امي
نامي يا امي
واعطيني الابرة والخيط
لاطرز عنك الفستان

دمشق
عادل قرشولي

الامـــــة والقـــوميـــة

بقـلم محمد زكي بيضون

كـثيرا ما يلتبس علينا الموضوع حتى ليعمى فيه القول، تعقيدا وانغلاقا ، لتداخل عناصر البحث وتشابك الوشائج المتشابهة فيه ، عندما نريد ان نفرق فى التعريف بين القومية والامة .. فكلتاهما لا تخرجان فى المعنى ، عن الجسم والروح المقومة له .. على ان هذا يمكن ان يطلق على الامة ، بوصف اصيل من صفات الحياة ، يعطيهاوحدها ما نفهمه من المعنى المزدوج للامة ذات القومية ، ولا عكس فى ذلك . اذ ليس بالمستطاع ان نفصل بينهما ، فنفصل القومية عن امتها ، كما لا يكمن ان نفصل الصفة عن موصوفها وخلاصة القول : ان القومية باعتبارها من خصائص الامة لا تقوم بدون الشروط المتوفرة فى العناصرالمكونة لها ، لتسمى باسمها فى مدار التاريخ ... وعلى ذلك فالفصل بينهمـا ممتنع علينا ، اذا كان ما نعنيه فى القومية ، نرمي به الى غير المفاهيم والشروط المفروضة فى تكوين الامة .. ونحن نعلم ان القومية ، بمعناها المتواضع عليه فى الاصطلاح ، انما هي من وضع العصر الحـــديث ، فهي قريبة العهد فى تاريخ الاجتماع، وما هي فىالحقيقة الا شعور منروح الامة، يجتمع فى تكوينه جميعالعناصر الداخلية ،التي تميز الامة فىمنازعها العاطفية والفكرية ، وتعمل باستمرار فى اتجاهات معينة ، تختطها على ضوء من وحي ذاتها ، سواء كان ذلك سيرا صـــاعدا ، يمتد فيه الشر ، حتى يعم امما ، ويشـــمل مجموعات اخرى من البشر .. وعلى هذا ، فاذا اجتزانا بتعريف الامة وحدها ، فقد عنينا بهذا التعريف ، الكـل المتدامج ، الذييجمع بين الامةوالقومية ، فىجسمواحد...

وقد كثرت التعاريف المتشابهة للامة ، وان اختلفت فى بعضها اختلافا جزئيا ، بزيادة او نقص ، فى العناصر المقومة لها . فهي عند فريق : جماعة من الناس يرجعون باصولهم الى ارومة واحدة ، مصالحهم مشتركة ، واخلاقهممتشابهة، ولسانهم واحد .. وهي عند فريق اخر : شريعة مشتركة وتمثيل مشترك ..ويرى بعضهم ان الامة ، تقوم بالاشتراك فى اعمال عظيمة فى ماضيها ، وشوق الى عمل تقوم به فى مستقبلها .. ويقول اخرون : ان الامة هي جماعة انسانية ، تريد الحياة ، فى ظل قوانين معينة وان تشكل دولة كبيرة كانت او صغيرة ...

وانك لترى ان هذه التعاريف على كثرتها ــ وان حملت من اسماء القائلين بهاامثالرينان ودركايم وسيبس وشبنغلرـ انما تقوم فى ذهن كل فريق ، على اساس من الوقائع المتباينة او التجارب الضيقة فى تاريخ ظروف معينة ، ولم ينظر فيها الى قواعد عامة فى الاجتماع لا ترمي اليها اخطاء الوضع ..

ولعل الاشبه بحقيقة الامة ، والاقرب الى صواب العلم ، هو ما يكاد يجمع عليه من ان العناصر المكونة للامة هي : الارض الواحدة ، واللغةالواحدة ، والتاريخ الواحد ، والمصير الواحد والمصالح المشتركة ...

والقومية من الظواهر الحديثة التي دعا اليها تاريخالنهضة واعتنقتها اكثر الامم الاوروبية ، فكانت شعارات متباينة فى مفاهيمها العاطفية والعقلية .. فهي خير محض اذا انطلقت من واقعها الحياتي ،الذييجمع بين الناس ، فى رباط الاخوة، وبين الامم فى رباط الوشائج المتشابكـة فى مد الحضارة الراهنة . وهي شر محض ، اذا انطلقت من فورة عاطفية ، تعتسف بها الطريق لتخلق فى المشاعر عقيدة الاستعلاء ، مبنية على عبادة الحاكمين .. وهي حالة تستتبع من الامة ــ بتأثير الايحاء المركز ــ فهما للعنصرية ، يريها من اصولها عراقة ، تتميز بها من الاجناس الاخرى ، بكمال تكوينهـا عقليا وجسديا .. وهذا ما حدا بالهتلرية الالمانية ، الـى تصنيف الامم مراتب حسب قربها من الآدية الاسطورية ، او بعدها عنها . وهذا هو السبب نفسه الذي دعا الىتركيز نفوذ الفوهرر ، والوصول به الى درجةمن التقديس ،رفعته عند شعبه ، الى مراتب الالهـــة ، كزعيم معبود ، يجترح المعجزات ويحقق للامة مطامحها ، باستيلائه على مقدرات الامم الاخرى واستعبادها .

واكثر مايستثير مشاعرالاغراء في افرادالامة، ويستهوي فيهم مركبات العظمة من هذه المكاسب العدوانية ، ان يرى الواحد نفسه جزءا من امة ممتازة ، ذات قوة حربيةيشترك معها في المجد على يدي زعيمها المؤله ...

وخير القومية الخالص ، ان يكون لها من لغتهاوتقاليدها وجهادها الطويل في ميادين المعرفة ، ثقافة تعرف فيهـا العوامل التي كانت اصلا في تكوينها ، والاسباب الاخرى التي عملت على تأخرها وانحطاطها ، ومدى مشاركتها في الاعمال البناءة التي كانت سببا في خير الانسانية وتقدمها، وفهما يتخطى حدود العواطف الانية المتقلبة ، وينفذ الـى المعرفة من ابوابها الواسعة ، وان يكون من رسالتها العمل على تخفيف ويلات الانسانية بالاسهام في كل حركةعالمية صاعدة ، تفتح افاقالبشر علىالتعاونوالتقارب ، وتحفزهم الى الاستزادة من مباحث العلموالتقدم في كل حقولالحياة التي يرجى منها الترفيه عـن الانسان والبعـد به عـــن المصادمات والمشاحنات التي تؤرث نارها المطامع ، ويضرم سعيرها التعسف في سياسة القمع والعدوان .

فالى اي مدى يصدق هذا على العرب فى تعريف الامة والقومية وينطبق مفهومه على واقعهم ومنازعهم ؟.. ولم يزل بينالعرب انفسهممن الانهزاميين ذويالاتجاهاتالمعينة من ينكر على العرب ان ينطبق عليهم تعريف الامة الواحدة. وانما هو يراهم امما وشعوبا متعددة . ولهؤلاء الجماعة في فهم القومية والامة آراء لا تقرهم عليها الحقائق ..

فالعرب امة لانهم يقطنون رقعة واحدة من الارض ، لا تفصل بين اجزائها حدود، تعرقل سير اتصالهم واجتماعهم

وهي رقعة واسعة مترامية الاطراف ، ذات تاريخ عريق ، تضارع في مساحتها رقعة القارة الاوروبية ، وتفضلها بخصوبة تربتها وكثرة منابعها البترولية ، وجغرافيتها الواقعة حدا وسطا بين الشرق والغرب ... وهي امة كذلك لان لغتهم الواحدة ـ وهي العربية ـ لم تكن لغة تفاهم وتعامل باكثر مما هي لغة ترابط روحي ، تغمر اهلها في يم من خصائصها الاصيلة ، التي تحملهم على التدله في محبتها .. وهي كذلك اقدم اللغات البشرية ، التي قدرت في زمن ان تهضم جميع علوم العالم ، ولا تزال بها سعة من انفساح مادتها، وكثرة وسائل النحت والاشتقاق فيها تمشي بها الى طليعة اللغات العالمية ، قبولا لكل جديد، واتساعا لكل المباني العلمية .

وهم امة واحدة لان تاريخهم الطويل ، المتد الى فجر الحضارات الاولى ، قد جمع في صفحاته تاريخ الانسانية ، باسمى معانيها ، من جهاد ضارب في القدم ، وسعي مستمر عبر القرون ، ومدنيات ملأت بين المشرق والمغرب بالعلوم والكشوف والنظم وقواعد الاخلاق .. وهم امة واحدة كذلك لان مصيرهم كان واحدا ، منذ ان انتكث فتلهم ، وضعف امرهم ، الى ان تجددت قواهم وعادت اليهم الحياة من جديد . فقد اشتركوا جميعا في الامهم الماضية ، وامالهم الحاضرة .. ثم ان العرب امة كذلك، لان المصلحة الواحدة ، التي تحفزهم الى العمل ، دائما هي التي تفتح اعينهم على افاق مستقبلهم . وسؤال لا يفتأ يتردد في الاذهان هو : هل القومية العربية هي حقيقة راهنة ، لها اهدافها وخصائصها ..؟

والواقع ان القومية العربية ، قد كانت حقيقة في خصائصها ، التي نهضت بالعرب في مجالاتهم التمدنية قبل ان تعرف اوروبا النور ، وتظهر فيها القوميات بزمن بعيد جدا . كانت جذور هذه القومية ، ممتدة في نفوس العرب عهد جاهليتهم ، وبعد اسلامهم ، فالنصارى الذين انحازوا الى صفوف اخوانهم العرب المسلمين ليحاربوا ابناء دينهم، لم يكن ليدفعهم الى ذلك غير احساسهم القومي . ولايصح بحال ان يقال : ان الذي دفعهم الى ذلك انما هو عصبيتهم لابناء جلدتهم، لان آصرة الدين ، كانت اقرب الى ان تشدهم الى الذين يدينون بعقيدتهم من ان تشدهم بعصبيتهم الى ابناء جلدتهم .. او لم تمسك النزعة الدينية المغلقة ، ابناء مكة عن الرأفة بابنائهم واخوانهم ، لانهم رأوا خروجهم على عبادة الاصنام التي كان يجمد عليها تفكيرهم ..

او لم يبتهجوا بانتصار الفرس على الرومان ، لانهم رأوا فيه فوزا للوثنية على عبادة الله .. اذن كان الامر انفتاحا ذهنيا متمكنا بخصائص القومية ذات الاهداف العالمية التي كان يمثلها الفتح العربي يومئذ ، لان العرب ، حملوا معهم في ذلك الحين ، رسالة الحياة الى الناس اجمعين وهي رسالة التحرر ...

وما هو التحرر ؟ والجواب على ذلك: انه الخروج من شهوات الدنيا واهوائها، اذا كان شيء من ذلك ، ليس بحق في ميزان القيم .. اذا لقد كان حس القومية عند العرب، يمثل اشرف النزعات ، وهي تحطيم القيود ، التي رسف بها الانسان طويلا ...

والقومية العربية اليوم ، تشد على ناجذ الحلم ، لتبدو في روعة الشباب ، اهدافا انسانية ، استقيناها من تجارب الماضي ، وآلام الحاضر ، فنحن كما كنا اصحاب رسالة ، في الحياة ، حققت الكثير من الاهداف الانسانية ، وبلغت مثلها العليا بمعطيات خيرة ، فياضة ، اوصلت العالم الى مدنية القرن العشرين . كذلك نحن اليوم، في تماسكنا القومي انما نعمل لمتابعة هذه الرسالة ، بوحي من الماضي ، وهدي من الحاضر ، وعلى ضوء واقعنا الاجتماعي القائم بما يتداول حياتنا من الشؤون السياسية والاقتصادية، وعلى اساس من المصالح المشتركة التي تجمع بيننا وبين العالم على اهداف عامة ، للخروج بالانسانية من اطوار العبودية والاقطاعية والجهل ... نعمل في سبيل قوميتنا جاهدين متماسكين متحدين في مشاعرنا ، ومسالك تفكيرنا ، واتجاه نشاطنا مؤمنين اننا في جهادنا المتواصل وسعينا الحثيث، وتنظيم اعمالنا في مجالات تقدمنا ، وتهيئة الظروف المناسبة، لمواصلة جهادنا وجهودنا ، سنعمل من اجل الديمقراطية والسلام، ومن اجل الحرية الفردية والجماعية بنشر وتعميم المبادىء التي قامت عليها الحقوق الانسانية قديما وحديثا.

ونحن في ذلك ، سنكون احرص ما يكون على المثل الاعلى لاهداف الرقي الذي ترمي اليه الحياة الانسانية ، بكونها مدارا لمجالات نشاط الجماعة التي لا تكون الفردية الا جزءا منها .. فبمقدار ما في امتنا من التعاطف والترابط ، وما يستتبعهما من تضامنها وتكافلها ـ وهما لا يكونان الا لقاء اعمال اصلاحية ، داخل النفوس وخارجها، لتثبيت اقدام التعاون الصحيح ـ يستطيع الفرد ان يقوم بما عليه من واجبات وحقوق ... فالافراد مسوقون في سير اعمالهم، واتجاهات تفكيرهم الى المدار المحدود بدائرة امتهم وقوميتهم يتكافأ الحق والواجب في نفوسهم ، مع قوة تكافلهم وتضامنهم مجتمعين على ان لا يكون الاجراء في ذلك صادرا منهم ، عن غير ما تقضي به سلطة الضمير وترمي اليه الشرائع النابعة من انسانيتم ، اي من اعماق مشاعرهم ..

فالوعي القومي الذي يهدف اليه وجودنا، كأمة ذات طموح وامل وتاريخ ، هو ادراك واسع وفهم عميق لما يحيط بنا ، من مظاهر حياتنا الحديثة ، هو ان ننفذ ببصائرنا وراء الحوادث الآنية ، والمظاهر القشرية التي تستهوينا ... هو ايضا ان نفهم جيدا ، حقيقة هذه التفاعلات ، التي تكونت منها شخصيتنا العربية القومية ، ونتعمق منها هذا الميراث الاجتماعي والثقافي الذي انتهى الينا من محيطنا الطبيعي . ونحن على اليقين الذي لا ريب فيه ، ان اكثر القوى، العقلية والجسدية والروحية ، التي ورثناها من الماضي ـ وهي التي حملت في محتوياتها قابليات الامة، التي نهضت بمهمات الحضارات التاريخية القديمة لا تزال جميعها مختزنة في وجودنا ، كامنة في نفوسنا ، قائمة في استعدادنا كأمة تريد

قـــالت لـــه

الى روح اخي الشـهيد بنـوا بركـات

من وراء حديثه الطويل
وقفت على سطور حياته المضطربـة
فحاولت جهدها فى الطريق
ان تلطف جوها المعيوش
وان تحسه على الابتسام لغده
فتزيل من امامه الكآبة
ومخلفات الشؤم
فمـــا افلحت
لانه ناقضها الآراء
فهو لايؤمـن بسماحـة الايام
فايامه تكالب ودماء
رتيبة رتيبـة
ضجـــر مميت
ستار الالم سد منافذها
حتى لا ينقشـــع الصبح
فينصت الى صياح الديكة الروميـة
وينتعش بنسام باردات ... باردات

استوقفته امـام قناطر زبيدة
لتتأمل روعة الفن
ولتهتف بعظمة الابداع
وقبل ان تنخطف على اجنحة الخيال
لتقلب صفحات التاريخ
دنت منـــه
والسحر يطفو من عينيها
فحاول ان يطوق جيدها

ويرمي بروحه على فيها
عله ينسى الشجون
لكنهـا عاجلته بالقول :
امؤمن انت بهذا الابداع
وهـل تثني على زمـن مضى
فتؤيد اعماله الجبارة
وتعترف بوصـايا الاسلاف والجدود
الم يعلمك التاريخ
مثلما علم غيرك ... امثولات
الم يدلك على امكنة فى الصرود
باطمئنان ترتادها ... وبلهفة الولهان
الم يعطك العزم والمثابرة
لتواجه مهـازل الايام
بربك اجب
اجب ولا تدفن الكلمات
فانا اريد ان احيا معك
انا احب حديثك العذب
بعد طرد الخواطر المزعجة من تفكيرك
واذا كـان التمرد فى صالحك
فانا اريدك ان تتمرد
ان تقذف اوراق الهوان
في سلة النفايات
ثم تنطلق على دنيوات المعرفة
فتحطم اغلال الشرور
وتـدك صروح العبودية
انـا اريـدك ان تثـأر

فالفد سيسهل نهجك
وسينتصر انتصارات

سأعمل حسب هذي التوصيات
سأتحمل المسؤوليات
ودون وجل سأحاسب نفسي
فجر جديد سـينبلج لي
ومثل اطلالة القمر المتراقص
ستصبح ايامي القادمة
وكهداة هذا النهير المتعطف
ستمضي ليالي
سأؤمن بتطور الزمن
وبعناد سأهزم جيـوش المـرارة
فانا ، قبلك ، ما عرفت الكـلام المنمق
والمسـلوخ من قرارة الفؤاد
انا تعذبت ..
فانكرت ايـام الطيوب
لانني بالنكران وثقت
انـا ازدريت المراوغـين
كمـا ازدريت الخلان
والان سأحتمل السنين
سأحتمل ... سأحتمل

هكذا جوابه كان
قبل ان يرحلا عن بقايا الاطـلال
حيث الاجلال والعبقرية في شموخ.

ابراهيم عبده الخوري

ان تحيا شريفة ، وتقوم باعمال عظيمة ، من اجل سلامتها، وسعادتها ، ومن اجل سلامة البشر وسعادتهم ...

فاذن علينا ان نعنى بانفسنا كأفراد ، وعلينا ان نعنى بها كأمة ، والاقوال وحدها ، لن تقوم سدا دون تسرب الضعف الى نفوسنا ، ما لم نرفق ذلك بالاعمال التي تحقق لنا اهدافنا يجب علينا ان نأخذ بثقافة عامة لا يمتنع عنها فرد من افراد امتنا ، وان لا يكون مدار هذا التثقيف على توجيه خاطىء، يوحي الينا باستساغة الوان من الدعايات والاكاذيب ترمي بنا فى متاهات من التضليل ، تعمل فينا على تجزئة شخصيتنا وتبث فينا روح الفرقة والخلاف ، وتصرفنا بذلك عن معالجة ادواء نفوسنا بما هو خير لنا واجدى علينا ، واول ما يجب ان يزول منا هو هذا الشره المفضي الى تفكيك قوميتنـــا كأفراد يستغل نشاطنا الطمع، فنعمل بوحي من غير انفسنا مسوقين على خدمة اعدائنا الذين يتربصون بنا الدوائر .

صـــور

محمد زكي بيضون

سيكارة

من ضلوع العلبة الحمرا انزعيها   حلوة هيفاء تفني عاشقيها
بالفم الولهان كالورد خذيها   واهتكي الاطياب منها وافضحيها
اطبقي الاجفان نصفا واسحبيها   واغزلي اغرودة الاشواق فيها
تتهادى تملأ الموعد تيها   انت لولا زفرتي لم تعشقيها
وانا لولاك لم اصب لفيها   فاسحبي ما شئت منها واحرقيها
وانشريها برقعا
نختفي فيه معا
وانفثي دخانها من خاتم
واسألي عباده اي لسان
ما تشهى ان يكون الاصبعا ؟

يا دخانا هائما اعصف بصدري   وتمرغ بالمنى واعبث بسري
وارتشف لحن الهوى من كأس عمري   وانطلق واشك لها بالحب امري
قل لها جرح على البيداء شعري   فالجوى ليلي وعصف الشوق فجري
سر وطوق معصميها
سر وكحل مقلتيها
واسترق من شفتيها شمة
واجرح المخمل والثم وجنتيها

هات دخنها على نجوى عتاب   وانفث الحمى على كأس شرابي
جرعة نشتاقها بعد الغياب   يا حبيبي لا تكن لمح سراب
ظامىء لو تجتلي سر عذابي   لارتوت عيناك من ذوب شبابي
احرقيها مثل قلبي
وازرعي منها بدربي
واسحقيها لوزة محمومة
واتركي في الصحن منها عطر حب

هات دخنها على مرقد حبي   واسند الراس الى رفات قلبي
آه لو القاك طول العمر جنبي   لانتشي بالعطر والالوان دربي
احرقيها واسحبي منها وعبي   واسكبي منها على انات صب
احرقيها كالحميا
في فمي في رئتيا
ثم ذوبي كشذاها فوق صدري
وتلاشي مثلها بين يدي

مرغي جلبابها بالاحمر   واملأي فاها بذوب العنبر
اسكريها بالشذا ثم اسكري   وافلتي في اضلعي العود الطري
ومن الاشواق فري وانفري   وعلى جمراتها السمر اخطري
لا تخافي الجسر هذا ... فاعبري   وارحمي انات جوعي واغفري
وارتمي بعد الصراع
فوق معتل ذراعي
واغرقي في الغفو في لجة حلم
نبلغ الافاق من غير شراع

بسام شاطىء العاج   ادمون الفلفلي

المدينة الصفراء

« الى مدينتي الصغيرة الصفراء .. مدينة العجاج والتراب ، مدينة الغيوم التي لا تمطر!.. الى المدينة الحبيبة الى دير الزور بلد الفرات العظيم .. اليها اهدي كلماتي هذه »

في بلدتي
في الدير .. في بلد العجاج
بلد التراب
بلد المصائب والعجائب والغرائب
في بلدتي
الصبح اصفر فاتح
كالليل
كالاحزان
كالطفل اليتيم
والليل اسود كالح
وبه قليل من حمار
كالنار في بلد الجحيم
كمطارق الموج البهيم
كمشانق الاحرار في حضن الظلام
كمعاول للهدم في ارض السلام
ومدينتي
بين الغيوم الداكنة
كالغادة الحسناء في عرس كبير
لكنها لا تبصر !..
كغيومنا لا تمطر !..

في بلدتي
في الدير امشي في الطريق
امشي صباحا او مساء
امشي بدنيا لونها
مربد من لون الحريق
دنيا ملونة
كلون منافق
في كل يوم مظهر
دنيا كلون وريقة بربيعها :
خضراء من لون النعيم
حتى اذا حل الخريف ..
فانها تتغير

في بلدتي
الناس تمشي مسرعة
وانوفها :
بتراب بلدتنا الصغيرة مترعة
هل تتقي الخطر الكبير ؟
خطر السماء كأنها
تسعى لان تتهدما
كالبحر في امواجه
تسعى لكي تتلاطما

والناس ينقش ثوبهم
لون التراب
ووجوههم
صفراء من لون الممات
كوجوه اشباح ببيت من ضباب
نسجوه من دمع ..
وما بين السحاب
وعيونهم
تبقى مغمضة كأبواب السجون
وتئن كالنغم الحزين ..

ومدينتي
كالبحر يهدر دائما
امواجه زفرات دنيا صاخبة
زفرات صحراء معربدة تثور
بحياتنا متلاعبة
ورياحه :
سوداء من لون الهموم
تجتر في طياتها الخطر العظيم
وتلوك نيرانا واعصارا ..
كاعصار الجحيم

هذي مدينتنا الحبيبة
قد وصفت ربوعها
هذي مدينتنا
وتلك اناسها
هلا اتيتم بلدتي
ورأيتم
وسمعتم
ما قيل عن اخطارها
ما قيل عن اشباحها
ما قيل عن احزانها
ما قيل عن اوهامها

دير الزور — هشام وكاع